2014 04 02

في الأول من كانون الأول/ديسمبر، بعيد الإخفاق الويكيليكسي، طرت إلى العاصمة القازاخية آستانا لحضور قمة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، وهناك التقيت خمسين زعيمًا كانوا ضحايا لتعليقات محرجة في التسريبات، بمن فيهم رئيس جمهورية قازاخستان نور سلطان نازاربابيف، مسؤول قازاخي أفاد بأنني (كنت رابطة الجأش) في أثناء المواجهات، ولم أتهرب من الأسئلة الصعبة. أكَّدت أن البرقيات المسربة لم تكن تعكس سياسة الولايات المتحدة الرسمية، بل كانت مجرد آراء دبلوماسيين أفراد يتم إيصالها من دون غربلة إلى واشنطن، حول ما كانوا يرونه حاصلًا في بلدان أخرى، هذا الوضع دفع بعض القادة إلى إعادة توجيه ملاحظاتي القوية حول حرية الإنترنت في وقت سابق من العام ضدي.

كذلك شهدت قمة الأمن والتعاون في أوروبا لقاء بيني وبين أمين عام الأمم المتحدة بان كي مون، وفي محاولة لتخفيف التوتر الناجم عن فضائح تجسس الهيومنت، عبرت عن الأسف بشأن التسريبات ولكنني لم أقدم أي اعتذار مباشر، لعدم اقتناعي باقتراف أي خطأ. بيان صادر عن الأمم المتحدة أفاد

بأن بان شكرني على التوضيح والاهتمام بالمصاعب التي كانت التسريبات قد تسببت بها.

في الوقت نفسه تقريبًا، أُصيب صديقنا العزيز ريتشارد هولبروك بمرض خطير. بداية مرض في أثناء لقاء معي، ما أدى إلى أن يتملكني الرعب؛ شعرت بأنه في خطر غير قابل للدرء، إلا أنني رجوت أن أكون على خطأ، لم أكن على خطأ؛ مات بعيد ذلك، يشرفني أنني كنت صديقة جيدة لزوجه قبل مرضه وموته، بقيت جالسة بجانب سريره مع كاتي ممسكة بيدها فيما كان ريتشارد محتضرًا، أرجو أن تتصرف إحداهن معي بالطريقة ذاتها عند رحيل بل.

بعد موته في الثالث عشر من كانون الأول/ديسمبر، ترأست اجتماعًا عفويًّا لنحو أربعين شخصية من كبار موظفي وزارة الخارجية ومساعديهم في مستشفى جامعة جورج واشنطن حيث أُبِّنَّاه معًا، وفي قداس لراحة نفسه بعد بضعة أيام، كلِنا؛ بل وأنا، المديح لعمله، قلت: «كل ما أنجزناه في أفغانستان وباكستان يعود جزء كبير من فضله إلى ريتشارد». من المؤسف أن ذلك لم يكن صحيحًا مئة بالمئة؛ فهولبروك كان قد طور علاقات ضعيفة مع البيت الأبيض في أثناء اضطلاعه بمهمة مبعوثنا الخاص إلى أفغانستان وباكستان، ورؤيتي له مجترحًا اتفاقًا مع أفغانستان على غرار اتفاقية دايتون (تلك التي أنهت الحرب في البوسنة ووُقعت في قاعدة رايت–باترسون الجوية القريبة من دايتون الأوهايوية) لم تكن واقعية، غير أني أقدر أنني سأحصل على الغفران (ليتك تسمع يا أبي!؟) لعدم البوح بما ليس من المحاسن عن أي شخص في تأبينه.

أومأتُ وعبرتُ عن سعادتي بتعلمها كيف تصفح عن نفسها: أنت تتقدمين فعلًا يا هيلاري!

قالت: أعرف أنني أفعل.